



في رحاب التوراة

دراسات وجِواراتٌ روحانيةٌ مُعمّقة في النصوص التوراتية الأسبوعية مع
الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University



The Original text in English and translations to other languages can be found here:
[Covenant & Conversation](#) | [Terumah](#) | [The Gift of Giving](#) | [The Rabbi Sacks Legacy](#)

"**تروماه**" هو النصّ الأسبوعي السابع من كتاب "شموت" (سفر الخروج) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المقطع الخامس والعشرين وينتهي بالآية التاسعة عشرة من المقطع السابع والعشرين

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

هَبَّةُ الْعَطَاءِ

يذكرُ هذا النصّ الأسبوعي من التوراة أوّل بيتِ عبادةٍ بناهُ بني إسرائيلُ لعبادة الله عزّ وجلّ، لكن فكرة بناء بيتِ الله مليئةٌ بالمفارقات بل والتناقضات إن صحّ التعبير، إذ كيفُ تُبنى بيتاً لله عزّ وجلّ وهو أعظّم من أي شيء بإمكاننا أن نتخيله؟ لقد طرح الملك شلومو/سليمان هذه الفكرة في أوّل خطاب ألقاه عقب بناء الهيكل اليهودي الأوّل، حيث قال: "هل يسكنُ الله حقاً على الأرض؟ هيذا السماواتُ وسماؤ السماوات لا تسعك، فكم ضئيلٌ هذا البيتُ الذي بُنيْتُ" تبعاً لما يذكره سفر الملوك في المقطع الثامن في الآية السابعة والعشرين. والحال ذاته مع النبي يشعياهو/إشعيا الذي طرح هذه الفكرة أيضاً مُتحدثاً باسم الله عزّ وجلّ، حين قال: "السَّمَاوَاتُ كَرْسِيٌّ، وَالْأَرْضُ مَوْطِئُ قَدَمَيْ. أَيْنَ الْبَيْتُ الَّذِي تَبْنُونَ لِي؟ وَأَيْنَ مَكَانٌ رَاحَتِي؟" تبعاً لما يذكره سفر إشعيا في المقطع السادس والسّتين في الآية الأولى.

بالتالي فإن فكرة بناء بيتِ الله لم تكن مُستحيلة فحسب، بل هي غيرُ ضرورية أيضاً، لأنه بإمكاننا التواصل مع إله كلّ شيء من أي مكان بمُنتهى اليُسْر والسلاسة، سواء كان هذا المكان في قمة جبلٍ أو في أعماق جُبّ، وسواء كان هذا المكان حياً فقيراً باتسأ أو قلعةً مُحصّنة يُرصّعها الرخام والذهب.

لكن الإجابة على هذا التساؤل تكمنُ في الفكرة التالية – وهي فكرة جوهرية جداً في الديانة اليهودية: إن الله عزّ وجلّ لا يتواجدُ في البناء، بل هو موجودٌ في البنّائين، واللهُ غيرُ موجودٍ في الحجارة لكنه موجودٌ في قلب الإنسان، وهذا ما استنبطه كبار الحاخامات اليهود والمتصوّفون من الآية الثامنة في المقطع الخامس والعشرين من سفر الخروج، حين قال الله عزّ وجلّ: "ويصنّعون لي من جميع ذلك بيتاً مقدّساً، وأسكنُ نوري بينهم"، فقال "أسكنُ بينهم"، ولم يقل "بيتاً أسكنُ فيه".

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا طلب مِنَّا الله عزَّ وجلَّ أن نبيِّ له مكاناً مُقدَّساً للعبادة؟ في الحقيقة فإن الإجابة التي وضَّحها غالبية المُفسِّرين اليهود والتي لَمَّحت إليها التوراة أيضاً تَمَثَّلَت في الآتي: لقد أمرنا الله ببناء بيت للعبادة تحديداً بعدما وقعت خطيئة العجل الذهبي، فقد صنَّع بنو إسرائيل هذا العجل بعد صعود موسى/موسى إلى جبل سيناء وقضائه أربعين ليلة فوقه حتى تنزَّلَ عليه التوراة. بالتالي، عندما كان موسى مُتواجداً بين بني إسرائيل، كانوا موقنين تماماً بأنه يتواصل مع الله عزَّ وجلَّ وبأن الله معه، لهذا كانَّ الله قريباً منهم تبعاً لذلك الاعتقاد. لكن بمجرد غياب موسى عنهم لفترة ستة أسابيع، أصابهم الذعر فجأة، وصاروا يتساءلون بين أنفسهم: من سيجسر هذه الهوة ويكون حلقة الوصل بيننا وبين الله عزَّ وجلَّ؟ وكيف بإمكانهم أن يتلقوا الأوامر الإلهية؟ وما هي حلقة الوصل التي ستكون بينهم وبين الله عزَّ وجلَّ أثناء غيابه؟

وانطلاقاً من هذه الحاجة، أمر الله عزَّ وجلَّ نبيِّه موسى قائلاً له: "ويصنعون لي من جميع ذلك بيتاً مقدساً، وأسكن بينهم"، والكلمة الرئيسية في هذه الآية هي الفعل المُشتق من الجذر العبري "ش.ك.خ.ن" (بمعنى سكن أو قطن)، والمُميِّز في هذا الموضوع هو أنه لم يسبق أن استُخدم هذا الفعل في التوراة في سياق الاتصال بالله عزَّ وجلَّ، لكنه أصبح لاحقاً كلمة رئيسية في الديانة اليهودية بحد ذاتها، فمن هذا الفعل جاءت كلمة "مِسكان" التي تعني بيت العبادة، وكلمة "شخيناها" التي تعني السكنية والحضور الإلهي. في الوقت نفسه، فإن "القرب" هو معني آخر يُضاف إلى المعنى الرئيسي للفعل "شَخَن"، فكلمة "شخين" في اللغة العبرية تعني الجار، أي الإنسان الذي يسكن بالقرب منك. لهذا، ما كان بنو إسرائيل بحاجة ماسة له هو الشعور بالقرب من الله عزَّ وجلَّ، تماماً كقرب أحدهم من جاره الذي يليه.

لقد حظي أجدادنا الأوائل بحالة من القرب من الله عزَّ وجلَّ، فالله تحدَّث مع أفراهام/إبراهيم ويتسحاق/إسحاق ويعقوب/يعقوب وساره ورفقة/رفقة وراحيل وليئة عن قُرب، كما يتحدثُ الصديق إلى صديقه. وخلال ذلك أخبر الله عزَّ وجلَّ أفراهام وساره بأنه سيهبهما طفلاً، ووضَّح لرفقه سبب مُعاناتها وألمها الشديد أثناء حملها، كما ظهر ليعقوب في أهم لحظات من حياته طالبا منه ألا يخاف. في الوقت نفسه، فإن كل ما رآه بنو إسرائيل من الله عزَّ وجلَّ كان الآفات التي سلَّطها على الفراعنة، ورأوه يشقُّ البحر ويرسلُ لهم المن من السماء ويخرجُ لهم الماء من الصخر، كما سمِعوا نبرة الأوامر في صوته على جبل سيناء والذي كان أمراً شاقاً صعب الاحتمال بالنسبة لهم، لهذا توجهوا إلى موسى قائلين: "تكلم أنت مَعَنَا فَندَسْمَع، ولا يتكلم الله مَعَنَا لِئلاَّ نَموت" تبعاً لما يذكره سفر الخروج في الآية التاسعة عشر من المقطع العشرين. فقد تجلَّى الله عزَّ وجلَّ لهم بمشاهدة طغت عليها ملامح القوة الجبارة، والنور الساطع الذي من شأنه أن يُعمي الأبصار، والصوت الصاخب الكفيل بأن يصم الآذان.

لهذا، كانت مسألة الاتصال بالله عزَّ وجلَّ بمثابة تحدٍّ كبير ليس فقط أمام أجدادنا الأوائل بل أيضاً أمام اليهود فرداً فرداً، ويفترض البعض بأنه كان تحدياً إلهياً أيضاً، بالتالي قام الله عزَّ وجلَّ بما اصطَلَحَت الصوفية اليهودية على تسميته "تيسموم" (بمعنى التقليل والتخفيف من حدة الشيء)، أي قام الله عزَّ وجلَّ بالتخفيف من حدة نوره الساطع وصخب صوته، وأن يحجب عظمته خلف الغمام، وأن يسمح للأزليَّة أن تُصيح نهائية.

لكن جميع هذه الأمور كانت الجانب اليسير، أما الجانب الذي كان في غاية الصعوبة لم تكن لنا علاقة به، ولا يتمحور حول الله عزَّ وجلَّ، بل تَمَثَّل في السؤال التالي: كيف بإمكاننا أن نستشعر الوجود الإلهي؟ في الواقع، فإنه لا توجد أي صعوبة في ذلك عند الوقوف على قمة جبل الإفرست أو عند النظر إلى الأخدود العظيم، ففي منظر مهيب كهذا، فإن المؤمن وغير المؤمن معاً بإمكانهما استشعار عظمته ورهبته عزَّ وجلَّ من فوق هذا الارتفاع الشاهق، وهذا ما تحدَّث عنه عالم النفس الشهير أبراهام ماسلو (الذي تحدَّثنا عنه في النص الأسبوعي "فأيري") في نظريته التي أطلق عليها "خبرات القمة"، مُعتبراً أن تجربة كهذه تُشكِّل جوهر اللقاء الروحاني بالله عزَّ وجلَّ.

لكن السؤال المحير هنا: كيف بإمكانك أن تشعر بوجود الله عزَّ وجلَّ في حياتك في خضم معمعة الحياة اليومية؟ كيف بإمكانك ذلك وأنت موجود في القاع، لا من فوق قمة جبل سيناء؟ كيف بإمكانك رؤية الله عزَّ وجلَّ عندما لا تكون مُحاطاً بالبرق الساطع والرعد الصاخب الذي رافق تجلَّى الله عزَّ وجلَّ لبني إسرائيل، بل عندما تعيش يوماً عادياً كسائر الأيام؟ إن إجابة هذه الأسئلة هي السر الكامن في اسم هذا النص الأسبوعي من نصوص التوراة: تروماه، هذه الكلمة التي تعني المُساهمة، وهنا يقول الله عزَّ وجلَّ مخاطباً موسى في الآية الثانية من المقطع الخامس والعشرين من سفر الخروج: "مُر

بني إسرائيل أن يأخذوا لي رفاعاً، من كل رجل تسخو نفسه تأخذون رفيعتي". بصريح العبارة: إن الطريقة المثلى للقاء الله واستشعار وجوده في حياتنا هي العطاء.

إنَّ العطاء سلوكٌ نابعٌ من إدراكنا بأن ما نُعطيه هو جزءٌ مما نتلقاه، والعطاء نفسه قد يقودُ الإنسان لإدراك هذه الحقيقة. كما أن العطاء يُمثلُ شكلاً من أشكال الشكر والعرفان والامتنان، وهُنَا يكمنُ الفرقُ في مدى وجودِ الله عزَّ وجلَّ من عدمه داخل العقل البشري، فعندما يكونُ الله حاضراً في حياتنا فإن هذا يعني إيماننا بأن كل ما نمتلكه هو مُلْكُ الله، فهو خالقُ الكونِ وخالقنا، وهو الذي وهبنا الحياة، وهو الذي نفخَ في أرواحنا لنتنفسَ هواء هذا العالم. وحين نُلقي نظرة على ما يحيط بنا من عظمة سنجدُ أنها غيضٌ من فيضِ كرم الله علينا: بدءاً من نور الشمس وذهبيَّة الصخور مروراً بزقزقة العصفير وانتهاءً بخضرة الأشجار. هذه هي العظمة التي نستشعرها حين نتلو تلك المقاطع من سفر المزامير يومياً والتي تتطرق إلى موضوع الخلق خلال صلاة الصباح. إن هذا الكونُ هو بمثابة معرضٍ فنيٍّ نجدُ فيه نُحفه الفنيَّة الساحرة التي خلقها الله عزَّ وجلَّ في كل ركنٍ من أركانه، وعندما تكونُ الحياةُ هبةً من الله، فإن شُكرنا وعِرفاننا لله على هذه الهبة يكون من خلال عطائنا وكرمنا مع الآخرين.

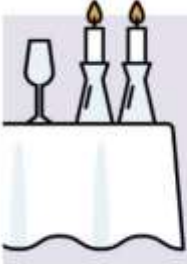
في المقابل، عندما لا تكونُ الحياةُ هبةً لأنه - من وجهة نظر البعض - لا يوجدُ واهبٌ لها أصلاً، وحين يكونُ هذا الكون موجوداً لا لسببٍ سوى بعض التذبذبات العشوائية في الفضاء الكمي، وحين لا يوجدُ من يعلمُ أو يكتربُ بوجودنا في هذا الكون، وحين يخلو جسدُ الإنسان من كل شيء سوى بعض الرموز التي تشكّل خارطته الجينية، وحين يكون عقلُ الإنسان مُقتصرًا على وجود نبضات كهربائية في الدماغ، وحين تكون الروحانية مُجرّد "وهم"، حينما تسود جميع تلك الأفكار فإن الشعور بالشكر فكرة حافظنا على بقائنا فقط، وحين تكون الروحانية مُجرّد "وهم"، حينما تسود جميع تلك الأفكار فإن الشعور بالشكر والامتنان على هبة الحياة سيكون أمراً في غاية الصعوبة، لأنه لا توجدُ هبةٌ إن لم يكن هناك واهبٌ، وستكون تلك الهبة بمثابة أمر عشوائي حدثت بالصدفة البحتة، فكيف للمرء أن يشعر بالعرفان والامتنان للصدفة؟

إنَّ التوراة تُحدِّثنا عن أمر بسيطٍ وعمليٍّ في الوقت نفسه: امْنَحْ وسوف تُصبح قادراً على رؤية الحياة كهبةٍ ومنحة. كما أنه ليسَ مطلوباً منك أن تكون قادراً على إثبات وجودِ الله عزَّ وجلَّ، بل ما هو مطلوبٌ منك هو أن تشعُرَ بالشكر والعرفان لأنك موجودٌ، والباقي يأتي لاحقاً.

وهكذا أصبح الله عزَّ وجلَّ قريباً من بني إسرائيل عبر بناء بيت مُقدّس للعبادة، ولم يكن السبب في ذلك القرب هو جودة الحجارة المُستخدمة في بنائه ولا حتى جودة الخشب أو المعادن أو الستائر الموجودة فيه، كما لم يكن السبب في ذلك لمعانُ الأحجار الكريمة الموجودة في اللوح الذي كان يرتديه كبيرُ الكهنة على صدره وظهره. كذلك لم يكن جمالُ البناء أو رائحة القرايين سبباً لذلك، لكن السبب الكامن خلف ذلك القرب هو أنه بُني بالعطايا والهبات حسب ما تذكرُ الآية الثانية في المقطع الخامس والعشرين: "من كل رجلٍ تسخو نفسه تأخذون رفيعتي". بالتالي يكونُ الله موجوداً وحاضراً عندما يتبرعُ ويُعطي الناسُ من تلقاء أنفسهم لدعم بعضهم البعض وكذلك للقضايا المقدسة.

وعلى هذا الأساس مُنح هذا النص التوراتي اسمه: تروماه، هذه الكلمة التي ترجمتها بمعنى "المُساهمة"، لكن المعنى الدقيق لهذه الكلمة يختلف قليلاً عن مجرد المُساهمة نظراً لعدم وجود مُرادفٍ لها يصفُ تلك الدقّة في المعنى. إن هذه الكلمة تعني "الرّفعة" التي تجنيها من مُساهمتك التي تقدّمها لأجل أمرٍ مُقدّس، بالتالي رفعت شيئاً فمُنحك الرّفعة. بمعنى آخر، إن الوسيلة المثلى لرفع الحالة الروحانية تتمثلُ في العطاء من باب شعور المرء بالعرفان والامتنان لما يتمتّع به من عطايا وهبات.

إن الله عزَّ وجلَّ لا يُسكّن البيوت ولا حِجارتها، بل يسكنُ في أفئدة أولئك الذين يُعطون ويهبون بكل صدق وإخلاص.



حَوْلَ مَائِدَةِ يَوْمِ السَّبْتِ الْمُقَدَّسِ: أَسْئَلَةٌ لِلتَّأْمُلِ

- 1- أين تشعر بأنك قريبٌ من الله عز وجل أكثر ما يُمكن؟
- 2- عندما تُعطي الآخرين (سواء كان عطاؤك من وقتك أو أفكارك أو حتى كان هذا العطاء على شكل مُساعدة أو هدية) هل تشعر بأنك أصبحت أكثر قُرباً منهم؟ لماذا؟
- 3- هل تعتقدُ أن مُساهمتهك وعطاءك تجاه مجتمعك سيقربك إلى الله عز وجل بنفس الطريقة التي جعلت بني إسرائيل يتقربون إلى الله عز وجل عبر مُساهمتهم في بناء بيت العبادة (المشكان)؟

• These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at <https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/terumah/the-gift-of-giving/>

Arabic Translation by *The Connecting Hamza* NGO

Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

